أَرَى الـمُسْلِمِينَ مَعَ الـمُشْرِكِيـ
ـنَ إِمَّا لِعَجْزٍ وَإِمَّا رَهَبْ[١]
وَأَنْتَ مَعَ اللَّهِ فِي جَانِبٍ
قَلِيلُ الرُّقَادِ كَثِيرُ التَّعَبْ[٢]
كَأَنَّكَ وَحْدَكَ وَحَّدْتَهُ
وَدَانَ الْبَرِيَّةُ بِالْبَنِ وَأَبْ[٣]
فَلَيْتَ سُيُوفَكَ فِي حَاسِدٍ
إِذَا مَا ظَهَرَتْ عَلَيْهِمْ كَئِبْ[٤]
وَلَيْتَ شَكَاتَكَ فِي جِسْمِهِ
وَلَيْتَكَ تَجْرِي بِبُغْضٍ وَحُبْ[٥]
فَلَوْ كُنْتَ تَجْزِي بِهِ نِلْتُ مِنْكَ
أَضْعَفَ حَظٍّ بِأَقْوَى سَبَبْ[٦]

الملك الأستاذ

يمدحه وأنشده إياها في سلخ شهر رمضان سنة ست وأربعين وثلاث مئة (٩٥٧ م):
[البسيط]

مَنِ الْجَآذِرُ فِي زِيِّ الْأَعَارِيبِ
حُمْرَ الْحِلَى وَالمَطَايَا وَالْجَلَابِيبِ[٧]

---

(١) ينتقد الشاعر تخاذل المسلمين الذين وادعوا المشركين مؤثرين سلامة أنفسهم، ومن أسباب ذلك أن الخوف استولى على قلوبهم وعقولهم وأن العجز قد شلّ إراداتهم.

(٢) و (٣) يخاطب الشاعر سيف الدولة؛ إنه وحيد ينصر دين اللّه تعالى فلا يعرف للنوم طعماً لذيذاً، بل إنه يرهق نفسه، وهذا يعني أن سيف الدولة قد أخلص للّه تعالى وعبده من دون الناس الذين يؤمنون بالمسيح، أي بالابن والأب.

(٤) ظهرت: تغلبت. الكئب: الحزن. يتمنى الشاعر أن يعمل سيف الدولة سيوفه في الحسّاد، فتكون له الغلبة والكيد لهم؛ وهذا ما يُثلج قلب الشاعر.

(٥) و (٦) الشكاة: المرض. يتمنّى الشاعر أن يحلّ المرض الذي يُعاني منه سيف الدولة أن ينزل في أجسام الحاسدين، ويتمنّى عليه أن يُبادله حبًّا بحبّ، فهو من تمكن في قلبه حبّ سيف الدولة ولكنَّه قليل الحظّ منه.

(٧) الجآذر، الواحد جؤذر: ولد البقرة الوحشية، تشبه النسوة بها لجمال عيونهن. =

إِنْ كُـنْـتَ تَـسْـأَلُ شَـكًّـا فِـي مَـعَـارِفِـهَـا
فَـمَـنْ بَـلَاكَ بِـتَـسْـهِـيـدٍ وَتَـعْـذِيـبِ (١)
لَا تَـجْـزِنِـي بِـضَـنًـى بِـي بَـعْـدَهـا بَـقَـرٌ
تَـجْـزِي دُمُـوعِـيَ مَـسْـكُـوبـاً بِـمَـسْـكُـوبِ (٢)
سَـوَائِـرٌ رُبَّـمَـا سَـارَتْ هَـوَادِجُـهَـا
مَـنِـيـعَـةً بَـيْـنَ مَـطْـعُـونٍ وَمَـضْـرُوبِ (٣)
وَرُبَّـمَـا وَخَـدَتْ أَيْـدِي الـمَـطِـيِّ بِـهَـا
عَـلَـى نَـجِـيـعٍ مِـنَ الْـفُـرْسَـانِ مَـصْـبُـوبِ (٤)
كَـمْ زَوْرَةٍ لَـكَ فِـي الْأَعْـرَابِ خَـافِـيَـةٍ
أَدْهَـى وَقَـدْ رَقَـدُوا مِـنْ زَوْرَةِ الـذِّيـبِ (٥)

= الأعاريب، جمع أعراب: البدو سكان الصحراء. الجلابيب، الواحد جلباب: الملحفة ترتديها النسوة فوق أثوابهن. يشرع الشاعر متغزلاً على طريقة الجاهليين في مطلع قصيدته المدحية مثيراً في ممدوحه لفت نظره إلى سرب من النسوة جميلات العيون، يرتدين من اللباس الأحمر ممَّا يعني أنهن من البدو النبيلات، ومن بنات الملوك، يمتطين نياقاً حمراء كريمة، إنه موكب بهيج يلذّ للمرء سماع أنبائه.

(١) إنها حالة توهّم، لقد التبس الأمر على الشاعر، ما الذي يراه، هل يُشاهد نسوة أم جآذر؟ فإذا به يسأل نفسه عمن أرّق ليله فلم يعرف للنوم طعماً؛ إنه عذاب وسهر.

(٢) الضنى: المرض. يدعو الشاعر ألّا ينزل بالنسوة المرض الذي أسقمه وأضناه، فقد أورثنه داءً أليماً، بفراقهن وجعلنه يبكي حزناً لرحيلهن، وأيضاً في مآقيهن دموع الفراق.

(٣) الهوادج، الواحد هودج: مراكب النسوة على الإبل. يصور الشاعر ما عليه هؤلاء النسوة، فهنّ مصونات لا يجرؤ أحد على الاقتراب منهن لذا فمن تصدّى لهنّ لقي جزاء ذلك الضرب والطعن، لأنهن يرتحلْن بمواكبة وحراسة.

(٤) الوخد: ضرب من سير الإبل السريع الخطو. النجيع: الدم. ومن الجائز أن تسير بهن مطاياهن وقد سالت دماء الفرسان دونهنّ لحمايتهنّ وصونهنّ.

(٥) ورغم منعة هؤلاء النسوة، فقد كان الشاعر دائم الزيارة لهن، ممَّا يعني أنه كان يسطو عليهنّ بجراءته وشجاعته، ولا يبالي بمن يقوم على حراستهن وحمايتهنَّ.

أَزُورُهُمْ وَسَوادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي
وَأَنْثَنِي وَبَياضُ الصُّبْحِ يُغْرِي بِي (١)
قَدْ وَافَقُوا الْوَحْشَ فِي سُكْنَى مَرَاتِعِهَا
وَخَالَفُوهَا بِتَقْوِيضٍ وَتَطْنِيبِ (٢)
جِيرَانُهَا وَهُمُ شَرُّ الْجِوَارِ لَهَا
وَصَحْبُهَا وَهُمُ شَرُّ ٱلْأَصَاحِيبِ (٣)
فُؤَادُ كُلِّ مُحِبٍّ فِي بُيُوتِهِمِ
وَمَالُ كُلِّ أَخِيذِ الْمَالِ مَحْرُوبِ (٤)
مَا أَوْجُهُ ٱلْحَضَرِ ٱلْمُسْتَحْسَنَاتُ بِهِ
كَأَوْجُهِ الْبَدَوِيَّاتِ الرَّعَابِيبِ (٥)
حُسْنُ ٱلْحَضَارَةِ مَجْلُوبٌ بِتَطْرِيَةٍ
وَفِي الْبَدَاوَةِ حُسْنٌ غَيْرُ مَجْلُوبِ (٦)

---

(١) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٦٣. إنه يقوم بزيارتهنّ، والليل يُخيّم على الكون بسدوله المدلهمّة، ويرحل عنهن وقد نثر الصبح خيوطه الذهبية على أرجاء الكون، فيكشف عنه ولا يجرؤ أحد على اعتراضه أو إيذائه.

(٢) المراتع، الواحد مرتع: المراعي حيث ترعى الحيوانات المتوحشة وتسرح. التقويض: الهدم. التطنب: شدّ طُنُب الخيام بالأوتاد. يذكر الشاعر سكنى هؤلاء الأعراب، لقد شاركوا الوحوش في مراتعها ومراعيها، وقد خالفوها بسكن الخيام؛ فهم ينصبونها في حال نزولهم ويقوّضونها في ترحالهم. بينما لا تأوي الوحوش لا خيام لها.

(٣) يذكر الشاعر علاقة هؤلاء الأقوام بجيرانهم، إنهم يفتكون بتلك الوحوش فيمعنون بها قتلاً، ويتخذون من لحومها طعاماً لمن يُعيلون، لذا فهم شرّ الأصحاب والجيران.

(٤) المحروب: المعدم، من لا مال له. يصف الشاعر أخلاق القوم؛ فنساؤهم يستولين على عقول من لعبت بهم لواعج الحبّ، فيأخذنهم بنظراتهن الفاتنة، وأما الرجال منهم فإنهم يستولون على أموال الآخرين وتؤول أحوال هؤلاء إلى الفقر والعدم.

(٥) و (٦) الرعابيب، الواحدة رعبوبة: النساء السمينات التارّات. يفضل الشاعر نساء البدوي على نساء سكّان المدن اللواتي يتزيّن بشتى أنواع الزينة؛ بتطرية وجوههنّ بالمساحيق وسائر أنواع الطيب، لذا فإن جمالهن صناعي خلاف البدويات اللواتي حبتهن العناية الإلهية بجمال طبيعي بعيد عن التصنّع عماده الصدق حيث لا زيف.

أَيْـنَ الـمَـعِـيـزُ مِـنَ الآرَامِ نَـاظِـرَةً
وَغَـيْـرَ نَـاظِـرَةٍ فِـي ٱلْـحُـسْـنِ وَالـطِّـيـبِ (١)
أَفْـدِي ظِـبَـاءَ فَـلَاةٍ مَـا عَـرَفْـنَ بِـهَـا
مَـضْـغَ الْـكَـلَامِ وَلَا صَـبْـغَ الْـحَـوَاجِـيـبِ (٢)
وَلَا بَـرَزْنَ مِـنَ الْـحَـمَّـامِ مَـاثِـلَـةً
أَوْرَاكُـهُـنَّ صَـقِـيـلَاتِ الْـعَـرَاقِـيـبِ (٣)
وَمِـنْ هَـوَى كُـلِّ مَـنْ لَـيْـسَـتْ مُـمَـوَّهَـةً
تَـرَكْـتُ لَـوْنَ مَـشِـيـبِـي غَـيْـرَ مَـخْـضُـوبِ (٤)
وَمِـنْ هَـوَى الـصِّـدْقِ فِـي قَـوْلِـي وَعَـادَتِـهِ
رَغِـبْـتُ عَـنْ شَـعَـرٍ فِـي الـرَّأْسِ مَـكْـذُوبِ (٥)
لَـيْـتَ الْـحَـوَادِثَ بَـاعَـتْـنِـي الَّـذِي أَخَـذَتْ
مِـنِّـي بِـحِـلْـمِـي الَّـذِي أَعْـطَـتْ وَتَـجْـرِيـبِـي (٦)

(١) الآرام: الظباء الخالصة البياض. ناظرة: مقبلة. يفاضل الشاعر بين نسوة المدينة، فهن معيز مبهرج، وبين نسوة الأعراب، فهن آرام بيض حِسان من العِين لم يتصنّعن جمالاً، ويمتزن بليونة الجانب لأزواجهن خلاف نسوة المدينة كالمعزى النافرة دائماً، حيث يتطاولن على أزواجهن.

(٢) ينتقد الشاعر نسوة المدن، فهن يتصنعن، فيمضغن الكلام خلاعة وتخنثاً خلاف ظباء الفلاة من الأعراب؛ إنهن فصيحات يُحسنّ نطقاً سليماً.

(٣) ماثلة: بادية، العراقيب، الواحد عرقوب: هو العصب الغليظ فوق عقب الرجل. ومن مظاهر التصنّع أن نسوة المدن يستحمن في الحمامات ليصلحن من شأنهن فيُبدين زينتهن وشيئاً من المظاهر التي تلفت أنظار الرجال بشدّ خصورهنّ بحيث تبدو أوراكهن ظاهرة للعيان ويصقلن عراقيبهن خلاف نساء البدو.

(٤) المموّهة: التزيّف والتدليس. يبدي الشاعر كراهيته لكلّ ما يعتبره تزييفاً لحقيقة الجمال الطبيعي، فقد أبدى انزعاجه من كلّ ما يبدو تصنعاً ولذا فقد أبقى على شيبه ولم يلجأ إلى الخضاب لإخفاء ما آلت إليه حاله.

(٥) رغب عن شيء: تركه. ينوّه الشاعر بحبّه للصدق، وقد تآلف معه واعتاده، فأصبح مَلكة نفسيّة، فكان من الطبيعي أن يبقي على شيب رأسه.

(٦) الحلم: الرزانة. يتمنّى الشاعر لو استطاع العودة إلى الشباب والحيوية، فقد كانت =

فَمَا الْحَدَاثَةُ مِنْ حِلْمٍ بِمَانِعَةٍ
قَدْ يُوجَدُ الْحِلْمُ فِي الشُّبَّانِ وَالشِّيبِ (١)
تَرَعْرَعَ الْمَلِكُ الْأُسْتَاذُ مُكْتَهِلاً
قَبْلَ اكْتِهَالٍ أَدِيباً قَبْلَ تَأْدِيبِ (٢)
مُجَرَّباً فَهِماً مِنْ قَبْلِ تَجْرِبَةٍ
مُهَذَّباً كَرَماً مِنْ غَيْرِ تَهْذِيبِ (٣)
حَتَّى أَصَابَ مِنَ الدُّنْيَا نِهَايَتَهَا
وَهَمُّهُ فِي ابْتِدَاءاتٍ وَتَشْبِيبِ (٤)
يُدَبِّرُ الْمُلْكَ مِنْ مِصْرٍ إِلَى عَدَنٍ
إِلَى الْعِرَاقِ فَأَرْضِ الرُّومِ فَالنُّوبِ (٥)
إذا أَتَتْهَا الرِّيَاحُ النُّكْبُ مِنْ بَلَدٍ
فَمَا تَهُبُّ بِهَا إِلَّا بِتَرْتِيبِ (٦)
وَلا تُجَاوِزُهَا شَمْسٌ إذا شَرَقَتْ
إِلَّا وَمِنْهُ لَهَا إِذْنٌ بِتَغْرِيبِ (٧)

= تجارة تبادل المنافع بين الشاعر وبين أحداث الدهر التي أخذت منه شبابه وفتوّته وتركت له التعقّل والرزانة، وهو يتمنّى لو أنها ردّت عليه شبابه واستعادت ما وهبته.

(١) يعقّب الشاعر أن حداثة السن ليست مانعة عن الحلم، لذا فالحليم حليم في كلّ مراحل عمره؛ في شبابه وشيخوخته، وهو كذلك.

(٢) و (٣) ترعرع: شبّ. الأستاذ: لقب كافور. تخلّص الشاعر إلى مدح كافور. لقد نشأ الملك الحسن التدبير كامل الحلم قبل اكتهاله، وجمع إلى ذلك أدب السلوك إضافة إلى أدب العلم، فاكتملت لديه عوامل النضوج، فكان كاملاً دون تدخّل البشر في إنضاجه؛ فقد جمع إلى الفهم حسن التجربة، دون اختبار، وكان مهذباً دون مهذب يقوم على إصلاحه، وذلك بسبب كرم خلق متأصّل فيه.

(٤) و (٥) التشبيب: ذكر ابتداء فترة الشباب. لقد حالف التوفيق كافوراً في مطلع شبابه، وهو لا يزال يطلب المعالي لبعد همته، فقد أدرك، وهو لا يني يجهد بهمة ليحقق أمجاداً قصوى. ويعمل على توسيع دائرة ملكه الذي يشمل مصر وعدن وتخوم بلاد العراق وأطراف أرض الروم والنوبة.

(٦) و (٧) النكب، الواحدة نكباء: الرياح الهوجاء لا حصر لجهة هبوبها. ومن مبالغات =

يُصَرِّفُ الأَمْرَ فِيهَا طِينُ خَاتَمِهِ
وَلَوْ تَطَلَّسَ مِنْهُ كُلُّ مَكْتُوبِ (١)
يَحُطُّ كُلَّ طَوِيلِ الرُّمْحِ حَامِلُهُ
مِنْ سَرْجِ كُلِّ طَوِيلِ الْبَاعِ يَعْبُوبِ (٢)
كَأَنَّ كُلَّ سُؤَالٍ فِي مَسَامِعِهِ
قَمِيصُ يُوسُفَ فِي أَجْفَانِ يَعْقُوبِ (٣)
إِذَا غَزَتْهُ أَعَادِيهِ بِمَسْأَلَةٍ
فَقَدْ غَزَتْهُ بِجَيْشٍ غَيْرِ مَغْلُوبِ (٤)
أَوْ حَارَبَتْهُ فَمَا تَنْجُو بِتَقْدِمَةٍ
مِمَّا أَرَادَ وَلَا تَنْجُو بِتَجْبِيبِ (٥)
أَضْرَتْ شَجَاعَتُهُ أَقْصَى كَتَائِبِهِ
عَلَى الْحِمَامِ فَمَا مَوْتٌ بِمَرْهُوبِ (٦)

= الشاعر أن الرياح تهبّ على بلاده حسب إرادته، وذلك مهابة له وإعظاماً، فكيف بالبشر؟ إنهم رهن أمره يمتثلون لمشيئته، وحتى الشمس، فإنها تشرق طوعاً لإرادته وتغرب متى شاء، فإذا بها تتفلّت من نظامها الذي خلقها اللّه تعالى عليه؛ وهذا أيضاً من مبالغات المتنبي السمجة.

(١) تطلّس: انطمس، وانمحى. أمر كافور نافذ، وحالما يبدو خاتمه حتى في حال انطماس دلالته، يبادر إلى تنفيذ إرادته إعظاماً له وتبجيلاً.

(٢) اليعبوب من الجياد: السريع العدو. يحطّ: يسجد بعد ترجّله. يكفي أن يرى الفارس ذو الرمح الطويل خاتم كافور حتى يترجّل عن فرسه فيسجد احتراماً وتعظيماً وإذعاناً.

(٣) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧٢. وما يدلّ على كرم كافور أنه يهشّ مسروراً لدى سماعه سائلاً جاء يطلب منه مِنّة وعطاءً وكأن ذلك قميص يوسف قد ألقي على وجه يعقوب فارتدّ بصيراً بإذن اللّه تعالى.

(٤) و (٥) ومن مبالغات الشاعر أن أعادي كافور؛ فقد ينتصرون عليه بحسن مسألته، لأنه لا يردّ طلب طالب. إنه ينتصر على الجيوش الجرارة ولكنه تخجله الكلمة المعسولة المعجونة بالرّقة الخادعة، وهؤلاء لا ينجيهم الفرار من غضبه عند النزال ويقعون بين يديه مهما كثر عددهم، وذلك من حظوظهم ومن حسن حظه فيكونون غنائم سهلة يتساقون تحت أقدامه.

(٦) أضرت: جرأت. الحمام، بكسر الحاء: الموت. ومن أثره الحميد أن شجاعته =

قَـالُـوا هَـجَـرْتَ إِلَـيْـهِ الْـغَـيْـثَ قُـلْـتُ لَـهُـمْ
إِلَـى غُـيُـوثٍ يَـدَيْـهِ وَالـشَّـآبِـيـبِ[١]
إِلَـى الَّـذِي تَـهَـبُ الـدّوْلاتِ رَاحَـتُـهُ
وَلَا يَـمُـنُّ عَـلَـى آثَـارِ مَـوْهُـوبِ[٢]
وَلَا يَـرُوعُ بِـمَـغْـدُورٍ بِـهِ أَحَـداً
وَلَا يُـفَـزِّعُ مَـوْفُـوراً بِـمَـنْـكُـوبِ[٣]
بَـلَـى يَـرُوعُ بِـذِي جَـيْـشٍ يُـجَـدِّلُـهُ
ذَا مِـثْـلِـهِ فِـي أَحَـمِّ الـنَّـقْـعِ غِـرْبِـيـبِ[٤]
وَجَـدْتُ أَنْـفَـعَ مَـالٍ كُـنْـتُ أَدْخَـرُهُ
مَـا فِـي الـسَّـوَابِـقِ مِـنْ جَـرْيٍ وَتَـقْـرِيـبِ[٥]
لَـمَّـا رَأَيْـنَ صُـرُوفَ الـدَّهْـرِ تَـغْـدِرُ بِـي
وَفَـيْـنَ لِـي وَوَفَـتْ صُـمُّ الأَنَـابِـيـبِ[٦]

= حملت الجبناء في جيشه الذين يتخلّفون في مؤخرته إلى أن ثارت في نفوسهم روحه، فإذا بهم لا يهابون الموت.

(١) و (٢) الشآبيب، الواحد شؤبوب: الدفعة الشديدة من المطر. يعرّض الشاعر بسيف الدولة، وقد تركه غير نادم؛ الناس يتداولون خبر فراره من كنف سيف الدولة، وهو كريم، فردّ عليهم أنه قصد غيوثاً مخلّياً المغيث وفيضه إلى فيوضات تمتدّ وتمتدّ بحيث تتّسع الوجود بأكوانه إنه المعطاء يسبغ على أمثال الشاعر الدول والأموال الجزيلة بلا حساب.

(٣) و (٤) يروع: يرعب. إن من حسن سيرته وعدله في رعيته، أنه لا يتسلّط على أموال أحد من رعاياه فيثير خوف غيره على ممتلكاته، فمن كان لديه وفر من مال يطمئن على ما لديه فلا ينكبه، ولكنه يُرعب جيوش أعدائه فيُنزل بهم الهزائم ممَّا يثير خوف أعداء آخرين فيلزمون الحياد ويُؤثرون السلامة مخافة مآل لا تحمد عُقباه ودماء تغطّي الأرض من جيش مهما عظم عدده.

(٥) التقريب: ضرب من العدو. لقد أعدّ الشاعر عُدّة الخلاص من غدر سيف الدولة، عمادها جياد اعتادت السبق وتمارس فنون الركض حتى حطّ رحاله عند كافور.

(٦) صروف الدهر: مصائبه، نوائبه. صمّ الأنابيب: الرماح. إن تلك الجياد تشارك =

فُتِنَ المَهالِكَ حَتَّى قالَ قائِلُها
مَاذا لَقِينَا مِنَ الْجُرْدِ السَّرَاحِيبِ (١)
تَهْوِي بِمُنْجَرِدٍ لَيْسَتْ مَذَاهِبُهُ
لِلُبْسِ ثَوْبٍ وَمَأْكُولٍ وَمَشْرُوبِ (٢)
يَرَى النُّجُومَ بِعَيْنَيْ مَنْ يُحَاوِلُهَا
كَأَنَّهَا سَلَبٌ فِي عَينِ مَسْلُوبِ (٣)
حَتَّى وَصَلْتُ إِلى نَفْسٍ مُحَجَّبَةٍ
تَلْقَى النُّفُوسَ بِفَضْلٍ غَيْرِ مَحْجُوبِ (٤)
فِي جِسْمِ أَرْوَعَ صَافِي الْعَقْلِ تُضْحِكُهُ
خَلَائِقُ النَّاسِ إِضْحَاكَ الأعاجِيبِ (٥)
فَالْحَمْدُ قَبْلُ لَهُ وَالْحَمْدُ بَعْدُ لَهَا
وَلِلْقَنَا وَلِلإِدْلَاجِي وَتَأْوِيبِي (٦)

= الشاعر مصيره، فإذا به وقد ألمّت بداره المصائب يجد في تلك الجياد المعين والنصير الصادق، وكذلك الرماح التي كان يختزنها لوقت الحاجة.

(١) و (٢) فتن: اجتزن. المهالك: الطرق الخطرة. الجرد من الجياد: القصيرة الشعر. السراحيب، واحدها سُرحوب: الفرس الطويل. لقد استطاع الشاعر اجتياز كلّ الصعاب الطبيعية، ونجح في التغلُّب على أسباب الخوف، فإذا بالمهالك تطويها جياده طيًّا سهلاً، حتى تعجّبت المهالك من نجاحها بالوصول إلى كافور، بسرعة يقودها ماضٍ بعيد الهمّة لا يطلب مالاً ولا لباساً، وإنما يبغي مجداً مخلّداً تذكره الأيام.

(٣) طموح عظيم لا يحدّه حدّ، يودّ الشاعر أن يُمسك بكلتا يديه نجوم السماء ويتشبّث بها وكأنها سُلبت منه، وهو يبغي استعادتها بما أوتي من قوّة.

(٤) و (٥) لقد استطاع الشاعر معرفة حقيقة ذاته، فترفّع واحتجب عن الخلق ترفّعاً، ومن هوان الناس عليه، فإنه يلقاهم غير هيَّاب. ذلك أنه ثابت الجنان لا تثنيه المحن يتحكم عقله بأعماله العظيمة، ولذا فهو يسخر من صغائر الناس وهم يثيرون ضحكه لإسفافهم وضعتهم، حتى من اتهم منهم بأنه يملك عقلاً مميّزاً.

(٦) الإدلاج: السير في الليل. التأويب: السير خلال النهار. يحمد الشاعر فعل كافور به واستقباله الحافل له، كما يمدح جياده وسلاحه ودأبه الدائم ليل نهار، وهو يسعى في سبيل المجد.

وَكَـيْـفَ أَكْـفُـرُ يَـا كَـافُـورُ نِـعْـمَـتَـهَـا
وَقَـدْ بَـلَـغْـنَـكَ بِـي يَـا كُـلَّ مَـطْـلـوبـي (١)
يَـا أَيُّـهَـا الـمَـلِـكُ الْـغَـانِـي بِـتَـسْـمِـيـةٍ
فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ عَنْ وَصْفٍ وَتَلْقِيبِ (٢)
أَنْـتَ الْـحَـبِـيـبُ وَلَـكِـنِّـي أَعُـوذُ بِـهِ
مِـنْ أَنْ أَكُـونَ مُـحِـبًّـا غَـيْـرَ مَـحْـبُـوبِ (٣)

كل مكان ينبت العز طيب

يمدحه في شوال سنة سبع وأربعين وثلاث مئة (٩٥٨ م):

[الطويل]

أُغَـالِـبُ فِـيـكَ الـشَّـوْقَ وَالـشَّـوْقُ أَغْـلَـبُ
وَأَعْـجَـبُ مِـنْ ذَا الـهـجْـرِ وَالْـوَصْـلُ أَعْـجَـبُ (٤)
أَمَـا تَـغْـلَـطُ الأَيَّـامُ فِـيَّ بِـأَنْ أَرَى
بَـغِـيـضـاً تُـنَـائِـي أَوْ حَـبِـيـبـاً تُـقَـرِّبُ (٥)

(١) يقرّ الشاعر أنه لن يُنكر النعمة التي قدمتها خيوله، فقد أعانته على إدراك مناه وأوصلته إلى مطلوبه.

(٢) الغاني: المستكفي. يخاطب الشاعر الملك بأنه مشهور باسمه شرقاً وغرباً، وهو غني عن كلّ وصف، وهو لا يحتاج لأي لقب.

(٣) ورد البيت في: دلائل الإعجاز، للجرجاني: ١٤٧. يخاطب الشاعر كافوراً معلناً حبّه له، وهو يتمنى على الملك أن يُبادله حبًّا بحبّ، وهذا ما يفرحه ويُثلج صدره.

(٤) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٥٩. يُخاطب الشاعر ممدوحه كاشفاً معاناته؛ إنها مغالبة وجدانية، مغالبة بين الحبّ الصادق المخلص للممدوح، والممدوح لا يعير أدنى اهتمام لشاعره، والهجر هنا معنوي، فكلّ منهما يلتقي صاحبه، فالجفاء من قبل الممدوح، والشوق من قبل الشاعر الذي يُعاني حالة صراع مع ممدوحه ومع ذاته، وهو يستعين بصبره عسى أن تزول تلك الجفوة بينهما، وعماد صبره حبّ مخلص صادق.

(٥) ورد البيت في: دلائل الإعجاز، للجرجاني: ٣١٥، الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٧. التنائي: البعد. يرى الشاعر أن الزمن يعمل بخلاف ما يريد، إنه يعمل على تقريب من يكرهه إلى ممدوحه، وإبعاده، لذا يتساءل إن كان بإمكان الزمن قلب تلك =

وَلِلَّهِ سَيْرِي مَا أَقَلَّ تَئِيَّةً
عَشِيَّةَ شَرْقِيّ الْحَدَالَى وَغُرَّبُ (١)
عَشِيَّةَ أَحْفَى النَّاسِ بِي مَنْ جَفَوْتُهُ
وَأَهْدَى الطَّرِيقَيْنِ الَّتِي أَتَجَنَّبُ (٢)
وَكَمْ لِظَلَامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدٍ
تُخَبِّرُ أَنَّ المَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ (٣)
وَقَاكَ رَدَى الأَعْدَاءِ تَسْرِي إِلَيْهِمِ
وَزَارَكَ فِيهِ ذُو الدَّلَالِ المُحَجَّبُ (٤)
وَيَوْمٍ كَلَيْلِ الْعَاشِقِينَ كَمَنْتُهُ
أُرَاقِبُ فِيهِ الشَّمْسَ أَيَّانَ تَغْرُبُ (٥)

= المعادلة فيقربه من ممدوحه ويبعد أعداءه عن ممدوحه، فيخلو له جوّ المحبّة فتعود المياه إلى مجاريها.

(١) التئية: المكوث في المكان والبقاء فيه. الحدالى: موضع بالشام. غرّب: جبل: أحد جبال الشام. يعجب الشاعر من سرعة رحلته تاركاً وراءه حلب ومن فيها، فإذا بالأرض تنطوي بسرعة، وهو لا يستكين بمكان مارًّا بالحدالى وغرّب.

(٢) يقصد بأحفى الناس: سيف الدولة. جفا: بعُد مغاضباً. كان ذلك عشية رحلة اللاعودة إلى من أحسن استقبال الشاعر، ووضعه بالمكان اللائق به، وعلى مفرق الطرق كان حوار داخلي بين الشاعر وذاته فهل يرجع إلى مكرمه أم يتابع رحلة الهروب إلى المجهول. إنه القرار الصعب.

(٣) المانوية: أصحاب ماني الزردشتي الذي يقول بأن النور هو الخير كله وبأن الظلمة الوجه المعاكس للنور وتتمثل به الظلمة، يُناقش الشاعر ما عليه من عزم بنظرة سوداوية تشاؤمية، مفضلاً الظلمة على النور، مؤكداً بأن المانويين يكذبون بادعائهم بأن الظلمة يتمثل فيها الشرّ.

(٤) الردى: الموت، السُّرى: سير الليل. والسبب في أن الشاعر آمن بتلك النظرية أن الظلمة حجبته عن أعين الأعداء وأعانته على تحقيق مبتغاه. إنها نظرة تنمّ عن لؤم طبع الشاعر، فقد جعل معشر سيف الدولة أعداءً وقد عايشهم واستفاد من سيف الدولة مالاً وجاهاً وصيتاً حسناً. وقد زاره طيف أحلامه مشجعاً إيّاه على التمادي بهروبه إلى قدره الذي يرى فيه تحقيق آماله.

(٥) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٨. يصوّر الشاعر حالة الخوف =